17649 - حدثنا أبو عبد ا الحافظ ثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ثنا عبد الواحد ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد ا بن كعب بن مالك أن عبد ا بن كعب قائد كعب حين عمي من بنيه قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول ا A في غزوة تبوك قال كعب بن مالك Y لم أتخلف عن رسول ا A في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب ا أحدا [ص 34] حين تخلف عنها إنما خرج رسول ا A يريد عير قريش حتى جمع ا بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول ا A ليلة العقبة وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت أذكر في الناس منها كان من خبري حين تخلفت عن رسول ا A في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة وا ما اجتمعت عندي قبلها راحلتان قط حتى جمعتهما تلك الغزوة ولم يكن رسول ا A يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول ا A في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم وأخبرهم بوجهه الذي يريده والمسلمون مع رسول ا A كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من ا وغزا رسول ا A تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول ا A والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ولم أقض شيئا وأقول في نفسي إني قادر على ذلك إذا أردته فلم يزل يتمادى بي حتى استجد بالناس الجد فأصبح رسول ا A والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا فقلت أتجهز بعده يوما أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم اقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن ارتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول ا A فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا في النفاق أو رجلا ممن عذر ا من الضعفاء فلم يذكرني رسول ا A حتى بلغ تبوك قال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول ا حبسه برداه ينظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت وا يا رسول ا ما علمنا إلا خيرا فسكت رسول ا A قال كعب فلما بلغني أن رسول ا A قد توجه قافلا من تبوك حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول ا A قد أظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لا أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول ا A قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاء

المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول ا A علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى ا D فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرك فقلت بلى يا رسول ا إني وا لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر فإني أعطيت جدلا ولكن وا لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كاذبا ترضى به عني ليوشكن ا أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو عفو ا لا وا ما كان بي عذر وا ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال رسول ا A أما هذا فقد صدق قم حتى يقضي ا فيك فقمت وسار رجال من بني سلمة فقالوا يا كعب وا ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول ا A بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول ا A لك فوا ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما ونهى رسول ا A عن كلامنا الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما وأما أنا فكنت [ص 35] أشب القوم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق لا يكلمني أحد وآتي رسول ا A فأسلم عليه فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ثم أصلي فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو بن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوا ما رد علي السلام فقلت له يا أبا قتادة أنشدك ا هل تعلمني أحب ا ورسوله قال فسكت فعدت له فنشدته فسكت قال فعدت له فناشدته الثالثة فقال ا ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فإذا فيه أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك ا بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك فقلت حين قرأتها وهذا أيضا من البلاء فيممت به التنور فسجرته بها حتى إذا مضت لنا أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول ا A فقال إن رسول ا A يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها ماذا أفعل بها فقال لا بل اعتزلها فلا تقربنها وأرسل إلي صاحبي بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي ا هذا الأمر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول ا A فقالت يا رسول ا إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليست له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك قالت إنه

وا ما به حركة إلى شيء وإنه ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان إلى يومي هذا فقال لي بعض أهلي لو أستأذنت رسول ا A في امرأتك كما أذن لهلال بن أمية تخدمه فقلت وا لا أستأذن فيها رسول ا A وما يدريني ما يقول لي رسول ا A إن استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول ا A عن كلامنا فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر ا منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء الفرج وأذن رسول ا A بتوبة ا علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروني وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلي فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع إلي من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي فكسوتهما إياه ببشراه ووا ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول ا A فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة يقولون ليهنك توبة ا عليك حتى دخلت المسجد فقام إلي طلحة بن عبيد ا يهرول حتى صافحني وهنأني ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال رسول ا A وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك قلت أمن عندك يا رسول ا أم من عند ا قال لا بل من عند ا تبارك وتعالى وكان رسول ا A إذا بشر ببشارة يبرق وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول ا إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى ا D وإلى الرسول قال رسول ا A أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول ا إنما نجاني الصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت وا ما أعلم أحدا من المسلمين ابتلاه ا في صدق الحديث مذ حدثت ذلك رسول ا A أحسن مما ابتلاني ما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول ا A إلى يومي هذا كذبا وإني لأرجو أن يحفظني ا فيما بقي فأنزل ا على رسوله { لقد تاب ا على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من ا إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن ا هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا وكونوا مع الصادقين } فوا ما أنعم ا علي من نعمة بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول ا A يومئذ ان لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن ا قال للذين كذبوه حين نزل الوحي شر ما قال لأحد قال ا تبارك وتعالى { سيحلفون با لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن ا لا يرضى عن القوم الفاسقين } قال كعب وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول ا A

حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول ا A أمرنا حتى قضى ا فيه فبذلك قال ا تبارك وتعالى { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } وليس الذي ذكر ا تخلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا ممن حلف واعتذر فقبل منه رسول ا A رواه البخاري في الصحيح عن يحيى بن بكير